**الجامعة المستنصرية**

**كلية الآداب / قسم اللغة العربية**

**استاذ المادة : د . كريم علي عبد علي**

**اسم المادة: أدب عباسي**

**اسم المحاضرة : مظاهر التجديد والتطور في أغراض الشعر العباسي**

**تسلسل المحاضرة:السابعة**

**المرحلة : الثالثة**

**رابعا / الرثاء :**

نشط الرثاء نشاطا واسعا ، إذ لم يمت خليفة ولا وزير ولا قائد مشهور إلا وأبنوه تأبينا رائعا ، وقد صوروا في القواد بطولتهم وكيف ملأ موتهم القلوب حسرة وفزعا ، وكان رثاؤهم لهم يفيض بالحزن واللوعة ، ولكنه مع ذلك يكتظ بالحماسة والقوة وتمجيد بطولتهم تمجيدا يضرم الحمية في النفوس ، وكان يحدث أن يخر بطل صريعا في بعض الميادين حينئذ ينظم فيه الشعراء مراثي حماسية تؤجج لهيب الحفيظة في القلوب وتدفع الى الإستشهاد تحت ظلال الرماح ذبا عن حرمات الوطن ، ومن خير ما يمثل ذلك مراثي أبي تمام في محمد بن حميد الطوسي إذ انبرى يرثيه مراثي رائعة تصور شدته في القتال وصبره في النضال حتى الموت على نحو ما يلقانا في مرثيته الرائية والتي يقول فيها :

**مضى طاهر الأبواب لم تبق روضة غداة ثـوى إلا اشتهت أنها قبر**

**ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ويغمـر صـرف الدهـر نائلـه الغمـر**

**عليـك سـلام الــله وقعـا فــأننـي رأيت الكريم الحر ليس له عمر**

وكان الشاعر القديم كثيرا ما يفزع الى العزاء بالأمم السالفة والقرون الخالية وأن الموت كأس يتجرع غصصه جميع الناس ، فردد ذلك الشاعر العباسي في مراثيه ، وأخذ يضيف اليه من فكره الخصب تأملات في حقائق الموت وسنن الوجود .

يقول ابن مناذر في تأبين عبد المجيد الثقفي :

**كل حي لاقي الحمام فمودي ما لحي مؤمل من خلود**

**لا تهاب المنون شيئا ولا تر عى على والد ولا مولود**

**يفعل الله ما يشاء فيمضى ما لفعل الإله من مردود**

**فكأنما للموت ركب محث ون سراع لمنهل مورود**

وشاع في هذا العصر بكاء الرفقاء والأصدقاء بكاء يفجر الحزن في النفس من مثل قول بشار بن برد في ندب أحد أصدقائه من الزنادقة :

**اشرب على تلـف الأحبة إننـا جزر المنـية ظاعنـين وخفضـا**

**ويلي عليه وويلتي من بينه كان المحب وكنت حبا فانقضـى**

**قد ذقت ألفته وذقت فراقه فوجدت ذا عسلا وذا جمر الغضا**

وظهرت ضروب جديدة في الرثاء لم تكن معروفة قبل هذا العصر من ذلك رثاء الممالك والمدن حين تنزل بها كوارث النهب ، والحرق ، وكان الجيش الذي أحاط ببغداد قبل مقتل الأمين رماها بالمجانيق ، فاندلعت فيها النيران واحترقت بعض الأحياء وعم فيها نهب الأموال ، وقتل الأبرياء ، مما جعل كثير من الشعراء يبكونها ، وقد غمرهم الحزن والأسى ، من مثل قول بعضهم :

**ألا ابك** **لإحراق وهدم منازل وقتل وإنهاب االلهى والذخائر**

**وإبراز ربات الخدور حواسرا خرجن بلا خمر ولا بمآزر**

**كأن لم تكن بغداد احسن منظرا وملهى رأته عين لاه وناظر**

ومن ضروب الرثاء الجديدة مراثي ( الطير الصادح ) مثل ( القمري ) والحيوانات المستأنسة ، وكان لابن الزيات فرس أشهب لم ير مثله فراهة وحسنا ، فوصفت للمعتصم فراهته ، فطلبه منه ، فلم يستطع رد طلبه ، حتى إذ أبان عنه رثاه بقصيدة طويلة يقول فيها :

**كيف العزاء وقد مضى لسبيله عنا فودعنا الأحم الأشهب**

**منع الرقاد جوى تضمنه الحشا وهوى أكابده وهم منصب**

**خامسا / الغزل :**

لم يعن الشاعر العباسي بموضوع قديم كما عني بالغزل وتصوير عاطفة الحب الإنسانية التي كانت تخفق بأغانيها صباح مساء العيدان ، والطنابير ، والدفوف ، والمعازف من كل شكل مختلطة بأصوات المغنيات والمغنين على جميع صور الإيقاعات في الشدة واللين ، وكانت القيان يعبثن بقلوب الشعراء هن ومن حولهن من الجواري وكل منهن تود لو استحوذت على شاعر وبادلته حبا بحب ، وهياما بهيام . وكاد أن يكون لكل شاعر طائفة من الجواي يحففن به ، وكان منهن كثيرات يحسن نظم الشعر ، وقد يطارحن بعض الشعراء أبيات العشق والصبابة .

ومن المحقق أن هؤلاء الجواري والقيان هن اللائي دفعن المجتمع العباسي في بعض جوانبه الى الفساد الخلقي ، إذ كن يعشن في دور النخاسة ، وكانت دورا كبيرة للعبث واللهو ، ولم يكن يستمعن فيها الى ما يعدل بهن الى السيرة الحسنة ، إنما كن يستمعن الى أحاديث العشق وكان بينهم من ينكر اصول الدين إنكارا غارقا في اللذة والمجون من أمثال : بشار بن برد ، وأبي نواس . فطبيعي أن تسوء سيرتهن ، أو على الأقل سيرة طائفة منهن وأن يفتح ذلك الأبواب للغزل ( الإباحي ) الذي يدفع اليه الجشع الجسدي والذي لا يدع فارقا بين الإنسان والحيوان ، وهو غزل لم يكن يعرفه العرب في العصور الماضية ، عصورالوقار والإرتفاع عن درك الغرائز النوعية . حقا عرفوا الغزل الصريح ، ولكنهم لم يبلغوا مبلغ العباسيين في الصراحة وما وراء الصراحة من الجهر بالفسوق والإثم دون رادع أو زاجر من دين .

لذلك كان طبيعيا أن يشيع ( الغزل الماجن ) ، في هذا العصر ، ويبلغ من حدته أن شاع الغزل الشاذ بالغلمان ، فحتى هذا الغزل المزري بكرامة الرجل دار على كثير من الألسنة الدنسة ، وكان الشعراء الماجنين يستظهرونه ويتلونه ، بل كانوا يرون فيه حبا عذريا عفيفا ، فمزجوا ذلك بنداءات غرائزهم الجسدية وايضا كان قد ترجم شيء من الحب الأفلاطوني اليوناني وأخذوا مفكرو العرب ومتفلسفتهم يتحدثون عن العشق أحاديث فيها كثير من السمو والسعة والعمق ، وكل ذلك سرى في نفوس الغزلين الماجنين من العباسيين ، ومضوا يضيفون اليه من خوطرهم الثرية ، ومن أجل ذلك نقرأ عند بشار وأبي نواس وغيرهما من المجان قطعا من الحب الأفلاطوني ( العفيف ) البريء الذي يرتفع عن المادة والحس من مثل قول بشار بن برد :

**دعا بفراق من تهوى أبان ففاض الدمع واحترق الجنان**

**كأن شرارة وقعت بقلبي لها في مقلتي ودمي استنان**

**إذا أنشدت أو نسمت عليها رياح الصيف هاج لها دخان**

وسرعان ما ظهر شاعر تخصص ب( الغزل العفيف ) واشتهر به وهو ( العباس بن الأحنف) وكانوا في غزلهم العفيف ، والصريح ( الماجن ) يحرصون دائما على أن يملأوا معاصريهم إعجابا بدقائق معانيهم ، وطرائف أخيلتهم من مثل قول أبي نواس :

**كـأن ثـيابه أطـﻠـﻌ ن من أزراره قمرا**

**يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا**

**بعـين خـالط اﻠـﺘﻓـﺘ ير من أجفانها الحورا**

**سادسا / الخمرة :**

إتسعت موجة المجون في هذا العصر كما مر بنا ، واتسع معها وصف الخمر ، وكان القدماء يصفونها على نحو ما هو معروف عند الأعشى ، وعدي بن زيد العبادي ، وأخذ وصفها في عصر بني أمية يكثر وخاصة عند الوليد بن يزيد ، وأبي الهندي و أضرابهما ونرى مجالسها منذ مطلع هذا العصر معقودة في البصرة والكوفة ، حتى إذا قامت بغداد نافستهما في تلك المجالس وكانت حاناتها في الكرخ ببغداد وما وراءه من دور النخاسة والأديرة المنثورة في ضواحي الكوفة وعلى الطريق منها ومن البصرة الى بغداد ، فأمها جميعا مجان الشعراء هم وغيرهم من عامة الفساق ، وكانوا أخلاطا ، منهم الزنديق الثائر على الإسلام وتعاليمه ومنهم الحزين الذي لم تحقق له الدولة احلامه ، فأكبة على الخمر يغرق فيها آلامه ، ومنهم المجوسي ، والدهري الذي لا يؤمن بأي كتاب سماوي ، وقد مضوا جميعا يعبون من الخمر حتى الثمالة ، وتلقانا منذ أوائل العصر جماعات ألف المجون والعشق والفسق والإثم بينهم مثل مطيع بن إياس ، وحماد عجرد ، ويحيى بن زياد الحارثي ، وكانوا يعبون الخمر أرطالا ويتغزلون الغزل المكشوف الماجن بالجواري ، والغزل الشاذ الدنس بالغلمان ، متحررين من كل خلق وعرف ودين ، وفي ذلك يقول مطيع بن إياس :

**إخلع عذارك في الهوى واىشرب معتقة الدنان**

**وصل القبيح مجاهرا فالعيش في وصل القيان**

**لا يلهيـنك غيـر مــا تهوى فإن العمر فان**

وتبلغ حدة المجون غايتها في عهد الأمين ، إذ حول قصر الخلافة الى ما يشبه مكانا للخمور والمجون ، واتخذ أبا نواس نديمه ، وكان يعكف على الخمر والمجون عكوفا يقترن بضجيج وهجوم على مقدمة الأطلال القديمة طالبا من الشعراء أن يضعوا مكانها وصف الخمر المعتقة من مثل قوله :

**قل** **لمن يبكي على رسم درس واقفا ما ضر لو كان جلس**

**تصف الربع و من كان به مثل سلمى و لبينى و خنس**

**اترك الربع و سلمى جانبا واصطبح كرخية مثل القبس**

وتردد مع هذا الصياح في خمرياته مجاهرة بأنه يقترف ما يقترف من آثامه دون تفكير في جنة أو نار ، ويشير الدكتور شوقي ضيف في كتابه ( تاريخ الأدب العربي / العصر العباسي الأول ) الى أنه : " لم يكن زنديقا ولا شعوبيا ، إنما كان متحلل الأخلاق ساقط المروءة ، وأكبر الظن أنه اندفع في مجونه هروبا من واقع نشأته وواقع أمه ... وكأنه يريد أن ينسى ماضيه وذكرياته السيئة " .